وهكذا ايضا حكم من يرى ويعتقد ان الامام المنتظر الفاضل الهادى مختف لايظهر من خوف المخالفين » (ج ٤ ص ٧٦ - ٨٧)

ومثله قولهم : « واعلم ياأخى أن أقوى ما يكون فعل ابليس فى دور الشهر (دور الشهر فى مصطلحات الشيعة هو الزمن الذى لايكون فيه إمام وهو الفترة بين الامام الواحد والذى يليه) . وذلك لأن حجة الله على أرضه وخليفته على عباده يكون مختفيا مستوراً ، وان كانت انواره تضىء فى نفوس العارفين به » (ج ٤ ص ٣٥٥)

ماتقدم لا يدع مجالا للشك فى تشيع إخوان الصفا وإيمانهم بالامام المنتظر . ولكن لنا ان نسأل هل وقف اخوان الصفا عند حد النظر من الايمان بالامام المنتظر أو هم تخطوا ذلك الى بث الدعوة له والتعريف به ؟ نعتقد ان فى القطعة التالية ايضاحاً لذلك وذلك حيث يقولون : —

« وقد أخذناك ايها الأخ لأمر فيه قربة الى الله تعالى ونصرة للدين . فكن واثقاً بما اخترناك ، وسر على بركة الله وحسن توفيقه ، متوكلا عليه فى نصرته وتأييده الى أخ من اخواننا الفضلاء ، وتلطف فى الوصول اليه وبشره بما القيناه من الاسرار فى شأنه . : وعرفه بان اخوانه الذين وجهوك اليه لهم مجلس يجتمعون فيه يتذاكرون العلوم ويتحاورون الأسرار . فتذاكروا يوماً فيما بينهم من حوادث الأيام وتغيرات الزمان وماتدل عليه دلائل القرآن من تغيير شرائع الدين والملل ، وتنقل الملك والدول ، من أمة الى أمة ومن بلد الى بلد ، ومن هل بيت الى اهل بيت(١) وقد اعتبرنا بهذه الوجوه التى ذكرناها حتى عرفنا (صاحب الأمر) بصفاته والسنة والشهر الذى يكون فيه الحادث (ج ٤ ص ٢٢٤ — ٢٥)

ما تقدم لايدع مجالا للريب فى أغراض اخوان الصفا السياسية ، وهى نشر الدعوة واعداد الأفكار لظهور أحد المهديين ؟

(١) قد يكون المعنى فى كلام اخوان الصفا الفاطميين ، فقرائن الاحوال تدل على انه كان لاخوان الصفا صلة بهم ، وإن كنا لا نستطيع أن نحدد هذه الصلة تحديداً قاطعاً . وأحب أن لا يغيب عن ذهن القارىء ما ذكرناه من قول ابن تيمية أن رسائل الأخوان صنفت قريبا من بناء القاهرة

(الرسالة) نلاحظ على الاستاذ هنا وفى المقال الماضى أنه أسقط المقصود من قول ابن تيمية صنفت قريبا من بناء القاهرة ، فانه يريد صنفت قريبا من زمن بناء القاهرة أي سنة ٣٥٨ هـ لا قريبا من مكانه

بين المعرى وداتى

بقلم محمود النشوى

فى رسالة الغفران والكوميديا المقدسة

فى سماء الأدب العربى تتألق رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى . وفى سماء الأدب الطليانى تتألق الكوميدية المقدسة لشاعر الطليان داتى اليجييرى Dante alighieri وفى كل منهما خيال يقرب من الخيال الآخر حتى ظن كثير من الأدباء أن شاعر الطليان سرق شاعر العرب . وأن خيال المعرة انتقل الى فلورنسا . وسواء لدينا أسرق داتى فكرة المعرى أم هى المصادفة أتاحت لكل منهما ما اتاحته للآخر ، ففى كل من الروايتين حوار مع أهل الجنة ومع أهل النار ، وفى كل منهما رحلة فى دركات الجحيم وفى طبقات الجنة ، سنعرض لذلك كله بالموازنة والتحليل ما اتسعت لنا صفحات الرسالة الغراء .

التعريف بالشاعرين

فى سنة ٩٧٣م ولد أبو العلاء المعرى وفى سنة ١٠٥٩ انتقل الى قبره بعد أن عمر ستة وثمانين عاما ، ولم يكد يناهز الرابعة من عمره حتى أصابه الجدرى فذهب بعينيه .

وكأن الله أراد أن يعوضه عما فقده من حاسة البصر ، فرزقه حافظة تعلق بها الكراريس العدة اذا تليت عليها مرة واحدة

وكأنى به استوعب ما احتوته قريته المعرة من العلوم والمعارف فرحل الى العواصم الاسلامية يرتشف منها مناهل العلم ، فزار حلب وانطاكية وطرابلس الشام واللاذقية وبغداد . الى ان بلغ من العمر سبعة وثلاثين ، فزهد فى الدنيا واعتزل الناس فى منزله بالمعرة . وقضى بقية حياته رهين المحبسين : العمى والمنزل . فأوحت اليه عزلته ماظهر فى لزومياته وفى رسالة غفرانه

وأما داتى فولد فى سنة ١٢٦٥ وتوفى سنة ١٣٢١ بعد أن عاش ستة وخمسين عاما

ولقد كان جده كاتشا جويدا Cacciaquida يحارب المسلمين فى صفوف الصليبيين لاغتصاب بيت المقدس تحت إمرة الامبراطور كونارد الثالث . وكأنى به اشتد على المسلمين فى حربه ، فأنعم عليه ذلك الامبراطور بلقب Cavaliere ، فأما والده فقد كان من غمار الناس

ودهائهم لم يترفق بداتي حينما توفيت أمه بل تزوج امرأة تدعى لابا أذاقته آلام الحياة وهو في عهد الطفولة ، حتى إذا اشتد ساعده قليلا هرع الى مدارس الفرنشسكان يتعلم الدين وقليلا من الهندسة والحساب ، متتلمذا للقديس فرانشسكو دى أسيزى ، ولا زال يتشرب روحه وتعاليمه حتى أدركه دور المراهقة فوقع في أشراك من الغرام امتدت نحوه من الفتاة بياتريشى تلك التي الهبت شاعريته ، وكان لها أثر كبير في كوميديته المقدسة ، ثم توفيت تلك الحبيبة في سنة ١٢٨٩ فزادت آلامه . غير أن نجمه بدأ يتألق في سماء السياسة فاختير عضوا من ستة أعضاء يحكمون في مدينة فلورنسا التي كانت تعصف بها الحروب الأهلية . ولا مرما اغتاظ منهم البابا بونيفاشيو Bonipakio فسلط عليهم شقيق ملك فرنسا كارلو دى فالوا فأخذ مدينتهم ، وفر داتي مع الهاربين بعد أن حكموا عليه بالموت حرقا سنة ١٣٠١ ، ولولا ذلك الهرب لنفذوا فيه حكمهم . ثم صادروا أملاكه ونفوا ولديه جاكو وبيترو Pietre ولا زالت البلاد تتقاذفه حتى مات شريدا طريدا سنة ١٣٢١ بعد نفي قارب العشرين عاما

أسباب تأليف الرواتين

فاما رسالة الغفران فهي رد على رسالة ابن القارح التي أرسلها الى المعرى

وابن القارح هو على بن منصور الحلبي ، ولقبه دوخله ، خدم أبا على الفارسي في صباه وقرأ عليه بعض كتبه ، ثم جاء الى مصر يؤدب ولدى الحسين بن جوهمه القائد بمصر . وكان له شعر من نوع ضعيف كمدحته للحاكم بأمر الله الفاطمي التي يفتتحها بقوله

ان الزمان قد نصر بالحاكم الملك الأغر

وكان فيه شيء من ذكاء . وشيء من دعابة . أملت عليه دعابته أن يرسل لأبي العلاء رسالة فيها لهو ، وفيها سخر ، وفيها حوار للشعراء والمتزندقين والمتألهين . وفيها أسلوب معرى يكثر من ذكر الآيات القرآنية يوردها أدلة على مالا تدل عليه الا قليلا ، أو من طريق بعيد ، أو لا تدل عليه بالمرة . وفيها كثرة الجمل الاعتراضية بالدعاء للمخاطب والاسهاب في الترضي والترحم وفي اللعنة ، مما لم نعهده في كتاب غير رسالة الغفران وغير رسالة ابن القارح تلك التي بدأها بقوله « كتابي أطال الله بقاء مولاي الجليل ، وجعلني فداءه على الصحة والحقيقة ، وليس على مجاز اللفظ ، ومجرى الكناية ،

ثم يروى عن صاحب الزنج أنه خطب في زنوجه قائلا : « أنكم قد اعتنم بقبيح منظر ، فأشفعوه بقبح مخبر . اجعلوا كل عامر قفرا ، وكل بيت قبرا . » ثم يروى لأبي العلاء أن رجلا دفع الى صديق له جارية وأودعها عنده ثم ذهب في سفره . فقال المودع لديه بعد أيام لمن يأنس به وتسكن نفسه اليه . ياأخي ذهبت أمانات الناس : أودعني صديق لي جارية في حسابه أنها بكر . . فجربتها فاذا هي ثيب ! . ثم يعيب على الرواة تصحيفهم قول على كرم الله وجهه تهلك البصرة بالريح فهلكت بالزنج ، كما تحدث المعرى عن الرواة وتصحيفهم وتحريفهم .

ثم تحدث عن المتنبي ، وأنه كان مغرما بتصغير كلماته فصغر أهل الزمان حينما قال

أذم الى هذا الزمان أهيله

فأنحى عليه باللائمة فقال ، وما يستحق زمان ساعده بسيف الدولة أن يطلق على أهله الذم ، ثم تحدث ابن القارح عن المتنبي وعن سجنه في بغداد فقال : « إن المتنبي أخرج من الحبس في بغداد الى مجلس أبي الحسن على بن عيسى الوزير رحمه الله ، فقال له : أنت احمد المتنبي ؟ فقال أنا أحمد المتنبي . ثم كشف عن سلعة على بطنه وقال : هذا طابع نبوتي وعلامة رسالتي . ثم تحدث عن ابن الرومي وعن طيرته . وعن أبي تمام ، وأن الحسن بن رجاء بلغه أنه لا يصلي ، فوكل به من يلازمه فلم يره صلى يوما واحدا فعاتبه ، فقال يامولاى : قطعت الى حضرتك من بغداد فاحتملت المشقة وبعد الشقة ، ولم أره يثقل على . فلو كنت أعلم أن الصلاة تنفعني وتركها يضرني ما تركتها : قال الحسن : فأردت قتله فخشيت أن يحمل على غيره هذا فتركته

ثم تحدث عن الذين ادعوا الألوهية كالقصار الأعور الذي اتخذ له وجها من ذهب وخوطب برب العزة ، والصنادقي الذي خوطب بالربوبية وكوتب بها ، وكان له دار يجمع اليها نساء البلدة كلها ويدخل الرجال عليهن ليلا

ثم ذكر الحلاج وأنه كان يخاطب الله بقوله

ياجملة الكل لست غيرى فما اعتذارى اذا أتيا

ثم تحدث عن المتزندقين فذكر بشارا وأن المهدى قتله على الزندقة . وعن صالح بن عبد القدوس وأن المهدى قتله لأنه قال ولو انى اظهرت للناس دينى لم يكن لى - فى غير حبى - أكل

وذكر الوليد بن يزيد وأنه رمى المصحف بالنشاب وخرقه ، وأن